منطقنا » التي تطلق الان لتبرير اخفاق تقديرات اسرائيل لامكانات عمل جماعي عربي ضدها .

غير ان أهم انجازات هذه الحرب هي ، طبعا ، تلك الانتصارات العسكرية التي احرزها العرب حتى الان ، والموقف الحرج الذي تجد اسرائيل نفسها فيه . لقد اوقع العرب ، بمبادرتهم ، اسرائيل في وضع صعب ، من ناحية الضغط على قواها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، كانت تتحسب منه دائما ، فاحدى نظريات الامن العسكري الصهيونية ، التي كان البريطاني وينغييت قد لقنها لزعماء عصابات الهاغاناه التي كانت تتعاون مع القوات البريطانية لسحق الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، في اواخر الثلاثينات ، تدعو الى الاحتفاظ بالمبادرة في يد القوات الصهيونية وشن هجماتها على الاهداف العربية التي ترتئيها وفي الزمان الذي تختاره . ويلاحظ ان زعماء تلك العصابات ، الذي تحولوا الى جنرالات في الجيش الاسرائيلي ، لم ينسوا هذا الدرس ، اذ ان المبادرة من الجانب الاسرائيلي كانت الطابع الغالب على حروب اسرائيل ضد العرب حتى الان . وعليه ، فان هذه الحرب هي الحرب الاولى التي تضطر اسرائيل الى خوضها ، من موقع الدفاع ، منذ قيامها وبشكل يلزمها بتجنيد كل احتياطها من الرجال والسلاح والمواد الاقتصادية . ولا ينبغي ابدا التقليل من حجم هذه الحقيقة او الاستخفاف بنتائجها ، القريبة والبعيدة في آن واحد . ان اسرائيل تجد نفسها ، الان ، مضطرة الى تجنيد كل احتياطيها من القوى البشرية من الرجال ، مع قلة من النساء ، بالاضافة الى استعمال كل مواردها للصمود في الحرب التي تخوضها (وفرض ضرائب جديدة على شعبها ، كانت الدفعة الاولى منها بليون ليرة اسرائيلية) مما يعني شللا شبه تام في مرافق الحياة العامة والخاصة وقلقا دائما يسود كل عائلة على مصير ابنائها في الجبهة ، يتحولان بصورة تلقائية الى ضغط جماهيري على الزعامة السياسية والعسكرية لحملها على الاسراع في وضع حد لهذه الحرب . ولهذا فان تقويم نتائج حرب عربية مع اسرائيل لا يمكن ان يقاس فقط بعدد الكيلو مترات التي استطاع هذا الجيش او ذاك تحريرها ، وان كان هذا بحد ذاته عاملا مهما ، او باحتلال الجيوش العربية لهذا الموقع او تخليها عن ذاك ، او بالتراجع هنا والتقدم هناك بقدر ما يقاس بقدرة القوى العربية المسلحة على توجيه الضربات الى الجيش الاسرائيلي ، وفي الوقت نفسه تحمل ضرباته ، وبالتالي اجبار اسرائيل على الاحتفاظ بكل قواها في حالة توتر دائم وشل الحياة العادية في العمق الاسرائيلي ، ولفترة لا يستطيع العدو معرفة نهايتها . وانه لمن الضروري والمفيد ، خصوصا بعد ان استطاعت الجيوش العربية حتى الان تحطيم اسس الحرب الخاطفة التي كانت اسرائيل تميل الى اتباعها ، الاستمرار في ضرب الجيش الاسرائيلي ما دامت هناك قوى عربية قادرة على ذلك . ولن يصعب على المرء ان يقدر كم من الوقت تستطيع دولة كاسرائيل الصمود في مثل هذه الاوضاع والاستمرار في الاحتفاظ بأكثرية رجالها على الجبهة في وضع دائم من التوتر له تأثيره البالغ في الحياة داخلها من كل جوانبها .

ليس من السهل ، طبعا ، اسداء النصح لدولة عربية ما بشأن ما ينبغي عمله في قتالها مع اسرائيل ، التي لا تتردد في مثل هذه الحالة في استعمال اية وسيلة ، مهما بلغت دناءتها ، لتخفيف الضغوط عنها ان كان ذلك بضرب المدنيين والمنشآت المدنية من جهة او محاولة القيام بعمليات « بهلوانية » ، يتوخى ان تحدث تأثيرا نفسيا لدى العرب من جهة اخرى . غير انه لا بد من الاشارة الى ان النجاح الذي احرزه العرب ، حتى هذه المرحلة ، كان ملموسا للغاية ، اذا ما قيس بردود الفعل في الجانب الاسرائيلي . فعبور الجيش المصري قناة السويس وتمركزه على ضفتها الشرقية من جهة ، وكسر احدى ذراعي السلاح الجوي الاسرائيلي ، على الاقل ، في اجواء الجولان